

طائرة «مرصاد ١» لحزب الله: النتائج فاقت القدرات

اللبنانية، وطائراته تجوب كل يوم سماء لبنان من شماله إلى جنوبه، وتخرق جدار الصوت فوق المدن ما يرعب السكان، والزوارق الصهيونية تتعدى على المياه الإقليمية وجنود الاحتلال يتجاوزون الشريط الشائك باستمرار. وتكتفي الأمم المتحدة بالرصد وتسجيل عدد الانتهاكات، ويكتفي المبعوث الشخصي للأمم المتحدة ستيفان دي ميستورا بالطلب من الاحتلال «احترام الخط الأزرق». ويسجل أن الدولة اللبنانية ووزارة الخارجية كانت تلفت نظر الأمم المتحدة باستمرار إلى الخرق الإسرائيلي، لكن سلطات الاحتلال الصهيوني ظلت متمسكة «بحقها» في استباحة الأجواء اللبنانية.

وكان من اللافت في هذا المجال حالة التفهم الكبيرة التي أبدتها السلطات الرسمية اللبنانية لإنجاز طائرة «مرصاد ١» وكذلك التأييد الحزبي والشعبي اللبناني، مما وفر مناخاً جيداً لحزب الله وخط دفاع حصيناً ضد محاولات تشويه هذا الإنجاز والقفز عليه.

بقي أن نشير إلى أن المحصلة النهائية لما أفرزته طائرة «مرصاد ١» إسرائيليياً هي أن حزب الله يواصل تسلّحه وعينه يقظة على الحدود. وأن الكيان الصهيوني يعيش أزمة وجودية حقيقية فمن الشمال طائرة تخترق أجواءه، ومن الجنوب صواريخ المقاومة الفلسطينية تهطل على مستوطنيه، ومن الناحية الاستراتيجية تعتبر الخطوتان نجاحاً استراتيجياً للمقاومة في فلسطين وتطوراً نوعياً في المواجهة. لذلك ليس غريباً أن يقول شاذول موفاز وزير الحرب الصهيوني إن الاستراتيجية الأساسية لكيانه في العشر سنوات القادمة تشمل ضرب المقاومة في فلسطين ولبنان وإضعاف سوريا وتهديد إيران. لكن يبدو أن حسابات موفاز لا تطابق الواقع. ■

وعلى تماس مع أجهزة الإنذار والرادار والمراقبة، حلقت حوالي عشرين دقيقة فوق المناطق الشمالية من فلسطين المحتلة، وشاهدها المستوطنون، فيما لم تتحرك آليات المراقبة ولم تطلق الصواريخ باتجاهها، ولم تقلع الطائرات الصهيونية لإسقاطها. وبهذا يكون حزب الله فعلاً شكّل مفاجأة استخبارية أمنية وحقق هدفاً نوعياً في مرمى الإسرائيليين، الذين كعادتهم حاولوا تطويق إنجاز حزب الله هذا من خلال الادعاء بأن الطائرة هي من صنع إيراني وأن قرار إطلاقها هو قرار سوري - إيراني، وأن خبراء من الحرس الثوري الإيراني أشرفوا على إطلاقها وأداروا حركتها من غرفة عمليات في جنوب لبنان. وهو ما تعمد الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله الرد عليه، والتأكيد بأن الطائرة تصنعاً وتسييراً هي من إعداد وتفنيذ كوادر لبنانية في حزب الله.

- تحليق الطائرة فوق المناطق الفلسطينية الشمالية المحتلة كان له أثر نفسي عند المستوطنين. فصار هؤلاء يعتقدون أن حزب الله قادر على الوصول إليهم في العمق الصهيوني عبر وسيلتين: الصواريخ والطائرات. ولا أحد يعلم منهم ما هي الوسائل التي سيصل من خلالها حزب الله إليهم في الفترة القادمة. لذلك بات قادة العدو الصهيوني يحذرون من الرد على أي استهداف يطالهم من لبنان بسبب سياسة الردع والتوازن التي تؤثر على الوضع في المنطقة، وهذا ما حصل مع عملية إطلاق صاروخي كاتيوشا من جنوب لبنان، باتجاه مستوطنة «شلومي»، إذ اكتفى العدو بالمواقف الإعلامية والتهديد الكلامي.

ولا شك أن الأجواء في المنطقة منذ أربعة أعوام خدمت حزب الله في تحريك طائرته هذه. فالعدو واصل بعد انسحابه من لبنان انتهاك الأجواء والأراضي والمياه

بعد تحليق طائرة «مرصاد واحد» التابعة لحزب الله فوق الأراضي الفلسطينية المحتلة، تبادر إلى الذهن سؤال بسيط: لماذا رذ الفعل الإسرائيلي الهستيري والمربوب من طائرة استطلاع معروفة وطاقفها وإمكانياتها وحجمها وقدراتها، ولا يرتعب العدو الصهيوني من مئات الطائرات العربية المقاتلة التي تختفي - إن لم نقل تختبئ - في المطارات العربية، وهي المصنفة من أحدث الطائرات في العالم، ولها قدرات دفاعية وهجومية، وأنفق العرب في شرائها مئات الملايين من الدولارات.

الجواب على هذا السؤال بسيط ويرجع إلى النقاط التالية:

- إن هذه الطائرة تتبع - سياسياً وعسكرياً - لقوة من قوى المقاومة اللبنانية العربية الإسلامية، التي واجهت الاحتلال ودحرته عن جنوب لبنان. والعدو يخشى من العرب أي مظهر أو أي شكل من أشكال المقاومة.

- إن قرار تحريك هذه الطائرة وتوجيهها يرجع للمقاومة وللمقاومة وحدها. وبذلك فهي تختلف عن باقي الطائرات التي يكون قرار تحريكها مرتبطاً بمعادلات وتوجهات ومرتهنة لأكثر من جهة. فتحريك طائرة «مرصاد واحد» يعود للمقاومة ولها فقط، وهي بالتالي المخولة بتحديد وقت طلعاتها وعمق توغلها، وهي بالتالي تخضع لقرار حزب الله، الذي وإن تعمد اليوم أن لا يجهز هذه الطائرة بعبوات أو قذائف وهي قادرة على حمل ٤٠ كيلوغراماً من المتفجرات، فإن الحزب قد يبدل رأيه هذا إذا اقتضت الظروف وقد يرسل الطائرة لمهام عسكرية أو حربية، إذا استدعت المصلحة.

- توقيت إطلاق الطائرة كان مفاجأة للإسرائيليين. فالطائرة أطلقت من جنوب لبنان على مقربة من الحدود